

إحياء علوم الدين

إلى السماء والأرض والشمس والقمر والنجوم والغيم والمطر وسائر الجمادات والثانية النظر إلى اختيار الحيوانات وهي أعظم العقبيتين وأخطرهما وبقطعهما كمال سر التوحيد فلذلك عظم ثواب هذه الكلمة أعني ثواب المشاهدة التي هذه الكلمة ترجمتها فإذا رجع حال التوكل إلى التبرى من الحول والقوة والتوكى على الواحد الحق وسيتضمن عند ذكرنا تفصيل أعمال التوكل إن شاء الله تعالى .

بيان ما قاله الشيوخ في أحوال التوكل .

ليتبين أن شيئا منها لا يخرج عما ذكرنا ولكن كل واحد يشير إلى بعض الأحوال فقد قال أبو موسى الديلى قلت لأبي يزيد ما التوكل فقال ما تقول أنت قلت إن أصحابنا يقولون لو أن السباع والأفاعى عن يمينك ويسارك ما تحرك لذلك سرك فقال أبو يزيد نعم هذا قريب ولكن لو أن أهل الجنة في الجنة يتنعمون وأهل النار في النار يعذبون ثم وقع بك تمييز بينهما خرجت من جملة التوكل بما ذكره أبو موسى فهو خبر عن أجل أحوال التوكل وهو المقام الثالث وما ذكره أبو يزيد عبارة عن أعز أنواع العلم الذي هو من أصول التوكل وهو العلم بالحكمة وأن ما فعله الله تعالى فعله بالواجب فلا تمييز بين أهل النار وأهل الجنة بالإضافة إلى أصل العدل والحكمة وهذا أغمض أنواع العلم ووراءه سر القدر وأبو يزيد قلما يتكلم إلا عن أعلى المقامات وأقصى الدرجات وليس ترك الاحتراز عن الحياة شرطا في المقام الأول من التوكل فقد احترز أبو بكر رضي الله عنه في الغار إذ سد منافذ الحياة // حديث إن أبو بكر سد منافذ الحياة في الغار شفقة على النبي ص تقدم // إلا أن يقال فعل ذلك برجله ولم يتغير بسببه سره أو يقال إنما فعل ذلك شفقة في حق رسول الله ص لا في حق نفسه وإنما يزول التوكل بتحرك سره وتغييره لأمر يرجع إلى نفسه وللننظر في هذا مجال ولكن سيأتي بيان أن أمثال ذلك وأكثر منه لا ينافي التوكل فإن حركة السر من الحياة هو الخوف وحق المتوكى أن يخاف مسلط الحياة إذ لا حول للحياة ولا قوة لها إلا به فإن احترز لم يكن اتكاله على تدبيره وحوله وقوته في الاحتراز بل على خالق الحول والقوة والتدبير .

وسائل ذو النون المصرى عن التوكل فقال خلع الأرباب وقطع الأسباب فخلع الأرباب إشارة إلى علم التوحيد وقطع الأسباب إشارة إلى الأعمال وليس فيه تعرض صريح للحال وإن كان اللطف يتضمنه فقيل له زدنا فقال إلقاء النفس في العبودية وإخراجها من الريوبون وهذا إشارة إلى التبرى من الحول والقوة فقط .

وسائل حمدون القصار عن التوكل فقال إن كان لك عشرة آلاف درهم وعليك دانق دين لم تأمن أن

تموت ويبقى دينك فى عنقك ولو كان عليك عشرة آلاف درهم دين من غير أن ترك لها وفاء لا تيأس من الله تعالى أن يقضيها عنك وهذا إشارة إلى مجرد الإيمان بسعة القدرة وأن في المقدورات أسباباً با خفية سوى هذه الأسباب الطاهرة .

وسائل أبو عبد الله القرشى عن التوكيل فقال التعليق بماه تعالى في كل حال فقال السائل زدنى فقال ترك كل سبب يصل إلى سبب حتى يكون الحق هو المتولى بذلك فالأول عام للمقامات الثلاث والثانى إشارة إلى المقام الثالث خاصة وهو مثل توكل إبراهيم عليه السلام إذ قال له جبريل عليه السلام أللها حاجة فقال أما إلليك فلا إذ كان سؤاله سبباً يفضى إلى سبب وهو حفظ جبريل له فترك ذلك ثقة بأن الله تعالى إن أراد سخر جبريل لذلك فيكون هو المتولى بذلك وهذا حال مبهوت غائب عن نفسه بماه تعالى فلم ير معه غيره